المستقبل العربي

٧ / ٢٠٠٣

٢٩٣

26

المحتويات

- إفتتاحية العدد:
  حرب العراق على أمريكا: بداياتها.. ومتطلباتها
- احتلال العراق بين ادعاءات التحرير ومطامع الاستعمار
  نادر فرجاني
- اقتصاد المعرفة والأمن الاقتصادي العربي
  كليب سعد كليب
- محددات الأمن الاقتصادي العربي
  سعد حافظ
- الثقافة والمال ومستقبل التنمية الثقافية العربية
  المنجي الزيدي
- العولمة وآفاق المستقبل في الوطن العربي (ملف)
- هل تستطيع الدولة الوطنية أن تقاوم تحديات العولمة؟
  سعيد الصديقي
- العولمة وطبيعة الأزمات في الوطن العربي
  غازي الصوراني
- عولمة الثقافة واستراتيجية التعامل معها
  جيهان سليم
- تقرير: الميزان العسكري في الشرق الأوسط

آراء ومناقشات:
- الإسلام والغرب
  إدريس لكريني

كتب وقراءات:
- الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر
- أسس توحيد القوانين العربية
- العرب والعالم بعد ١١ أيلول/سبتمبر

مؤتمرات:
- مؤتمر ويلتون بارك
- ماذا بعد انهيار عملية التسوية

- موجز يوميات الوحدة العربية
- ببليوغرافيا الوحدة العربية

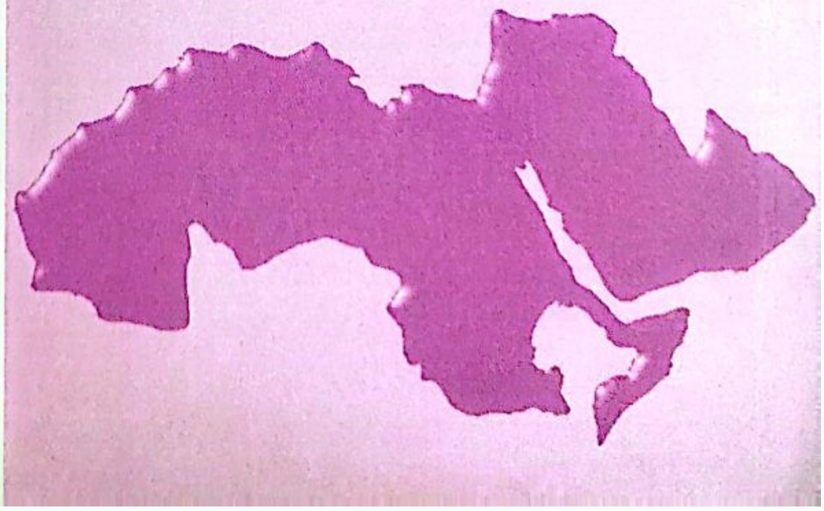

يصدرها
مركز دراسات الوحدة العربية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستقبل العربي

ISSN 1024 - 9834

مجلة فكرية شهرية تعنى بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربي

يصدرها

مركز دراسات الوحدة العربية

منظمة دولية غير حكومية مقرها في لبنان
(مرسوم رقم ٤١٧٤ لعام ٢٠٠٠)

- **مركز متخصص في العمل الفكري المتجه رئيسياً نحو مسائل الوحدة العربية.**
- **يهدف إلى إيصال نداء الوحدة للجماهير العربية والأوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها.**
- **يعنى بدراسة الواقع العربي كخلفية للحالة الوحدوية المنشودة.**
- **لا يفرض شروطاً مسبقة على مساهمة المثقفين في نشاطاته سوى قناعتهم بالوحدة العربية.**
- **لا يتخذ أي مواقف سياسية مباشرة ولا يساهم في النشاط السياسي.**
- **لا يرتبط باي حكومة ولا يتبنى أي نظام ولا يدخل في محاور أو تحالفات.**

المراسلات: باسم المستقبل العربي

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣
الحمراء - بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ - لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ - ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧ برقياً: «مرعربي» - بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)
e-mail: info@caus.org.lb
Web Site: http://www.caus.org.lb

الاشتراك السنوي:

- الأفراد: في أقطار الوطن العربي (٦٠ دولاراً أمريكياً)، وفي البلدان الأوروبية (٨٠ دولاراً أمريكياً)، وفي أمريكا وجميع البلدان العالمية الأخرى (٩٠ دولاراً أمريكياً).
- المؤسسات: في أقطار الوطن العربي (١٠٠ دولار أمريكي)، وخارج الوطن العربي (١٢٠ دولاراً أمريكياً).

الاشتراك لمدى الحياة:

- الافراد: ٥٠٠ دولار أمريكي
- المؤسسات: ٧٥٠ دولاراً أمريكياً

تدفع إشتراكات الأفراد مقدماً:

(١) إمّا بشيك لأمر المركز مباشرة مسحوب على أحد المصارف الأجنبية.

(٢) أو بتحويل إلى العنوان التالي: حساب مركز دراسات الوحدة العربية رقم (٢٥٢٠٧٠١٣٥٠٩) بنك بيبلوس - فرع الحمرا - السادات ص.ب ٥٦٠٥ - ١١ - بيروت - لبنان - تلكس Bybank 44078-41601 LE - تلفون: ٧٣٦١٥٢ - ٢٥٥٦٢٠/٣١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلام والغرب: بين نظرية الصدام وواقع الفهم الملتبس(*)

إدريس لكريني

باحث في القانون والعلاقات الدولية،
وأستاذ زائر في كلية الحقوق ـ مكناس.

أجمعت جل النقاشات التي جرت داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ سنة ١٩٩٨ إلى حدود سنة ٢٠٠١، بصدد الحضارات الإنسانية، على إيجابية التنوع الثقافي كعامل محوري في إغناء تطور وتقدم الإنسانية، وضرورة تفعيل الحوار بين مختلف هذه الحضارات، حيث شكل الأمين العام الأممي لجنة تمكنت من إنجاز وثيقة في الموضوع قدمت الى الجمعية العامة التي أقرتها بدورها بالإجماع. وكانت هذه الأخيرة قد تبنت قراراً لها رقم ٢٢ في دورتها رقم ٥٣ بتاريخ ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٨ تضمن إعلان سنة ٢٠٠١ سنة للحوار والتعايش بين الحضارات، وقد اعتبرت معظم القوى الدولية والشعوب المحبة للسلام والتسامح هذا الإعلان بمثابة رد عملي صارم من جانب المجتمع الدولي على كل الخطابات التي تدّعي وتشجع وتتبنى الصراع والصدام بين مختلف الحضارات الإنسانية.

غير أنه في الوقت الذي كانت الجهود الدولية والإقليمية تجري فيه على قدم وساق نحو تعزيز الحوار بين الحضارات المحلية والإقليمية والدولية وخلق جو مناسب للحوار بينها، أعادت أحداث نيويورك وواشنطن بتاريخ ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها من توجيه الاتهام لعناصر عربية وإسلامية بشأن الضلوع فيها، نظرية هانتنغتون المرتبطة بصدام الحضارات بقوة إلى الواجهة، وبالتالي تكرس الخلط بين الشخص «الإرهابي»

(*) في الأصل مداخلة شارك فيها الباحث ضمن فعاليات الملتقى الثاني للفكر الحضاري الذي نظمه نادي الفكر الإسلامي تحت عنوان «حوار الحضارات» وذلك بتاريخ ٢٨ و٢٩ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢ في الرباط.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحضارة التي ينتمي إليها، وهو الأمر الذي تجاوز فيه الخطر الذي كان يهدد العرب والمسلمين في الغرب في ثقافتهم إلى حياتهم الشخصية أيضاً.

فما هي أهم الأفكار التي حملتها نظرية صدام الحضارات لهانتنغتون، وخاصة في ارتباطها بالإسلام؟ وما هي صورة الإسلام في الغرب؟ وما هي السبل الكفيلة نحو تصحيح صورة الإسلام في الغرب؟

أولاً: موقع الإسلام ضمن نظرية صدام الحضارات

ظهرت نظرية «صدام الحضارات» لأول مرة في مقالة للباحث الأمريكي صموئيل هانتنغتون ضمن عدد لمجلة **شؤون خارجية** صيف سنة ١٩٩٣، قبل أن يطورها في شكل كتاب صدر له سنة ١٩٩٦، وقد حاول من خلالها تحديد ملامح الصراع الدولي القائم بعد نهاية الحرب الباردة. ففي هذه النظرية يرى الباحث أن الصراعات الدولية في عالم ما بعد الحرب الباردة ستكون صراعات بين الأمم والمجموعات الثقافية والحضارية المختلفة لا بين الدول. وهو بذلك يؤكد على العنصر الثقافي كمحور أساسي للانقسامات بين الشعوب، خصوصاً مع تنامي بروز الهوية الثقافية أمام ما يشهده العالم من تحديث وتنمية اقتصادية، مما يعمق ويصعد الخلافات والصراعات المبنية على أسس ومرتكزات ثقافية.

ولكي يبرر نظريته التي تقوم على أن الشعوب تعود إلى هويتها الثقافية ورموزها الأصلية، فقد حدد الباحث بعض العناصر التي اعتبرها أساسية ومحورية في تحديد المجال الثقافي أو الحضاري كالدين والموروث التاريخي المشترك والامتداد الجغرافي، وهو على عكس فوكوياما الذي تحدث عن «نهاية التاريخ» وانتصار الغرب الرأسمالي أمام المعسكر الشرقي الاشتراكي المنهار، اعتبر أن الخطر ما زال يتهدد هذا الغرب، وأن الصراعات ستشتد من جديد، خاصة على المستوى الثقافي الذي يعد أحد أخطر أسباب ومظاهر الصراعات الدولية، وأن هذه الصراعات ستجري بين المجال الحضاري الغربي وبقية المجالات الحضارية الأخرى (الكونفوشيوسية، والبوذية، والإسلام...)، ولم يستبعد إمكانية إقدام هذه الحضارات على تشكيل تحالفات لمواجهة الغرب.

وبخصوص مكانة الإسلام ضمن هذه النظرية، يرى هانتنغتون من جهة أولى ـ كما أشرنا سابقاً ـ أن الصراع الأساسي لمرحلة ما بعد الحرب الباردة سيقع بين الغرب والحضارات الأخرى، ومن جهة ثانية يرى أن «التكتل الحضاري الإسلامي» قد يواجه التكتلات الحضارية المجاورة له (الكتلة المسيحية الغربية، الكتلة السلافية المسيحية الأرثوذكسية، والكتلة الإفريقية، والكتلة الهندوسية).

والجدير بالذكر أن هانتنغتون عند حديثه عن «الخطر الإسلامي» لا يحذر الغرب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقط من «الحركات المتطرفة الإسلامية»، بل يتحدث أيضاً عن خطر الدين الإسلامي نفسه.

وهو يلاحظ أيضاً أن التطور الحضاري للكونفوشيوسية والبوذية يسير في اتجاه متسارع نحو الحوار والتعايش والتنافس الودي مع الغرب عبر تحقيقه لإنجازات اقتصادية وسياسية مهمة، في حين تتجه معظم القوى والحركات الإسلامية نحو المزيد من الانطواء على الذات ومواجهة الحضارة الغربية وتحديها، بالشكل الذي يجعله يقر في الأخير بأن الصدام بين الإسلام والغرب حتمي الحدوث. ويضيف أنه أمام هذا الوضع يتعين تدعيم التعاون والوحدة بين أبناء الحضارة الواحدة، وخصوصاً بين أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وتخفيف حدة التناقضات في ما بينها لمواجهة هذه المخاطر المقبلة.

ويظهر من خلال ما سبق أن هانتنغتون يعتبر بنوع من الإطلاقية أن لكل حضارة ديناً خاصاً بها، ويضفي طابعاً مسبقاً من الانسجام على الحضارة الواحدة.

في الحقيقة، إنه باعتمادنا تعريف الحضارة باعتبارها «أسمى وأعلى تجسيد ثقافي لجماعة من الناس وأوسع تمثيل لهويتهم الثقافية»، فالفرنسيون والأمريكيون، وإن كانت هناك مفارقات وتمايزات على مستوى الحضارة الغربية الواحدة، يحملون قدراً كبيراً من العناصر الثقافية المشتركة، تميزهم من الحضارات الأخرى (الحضارة الإسلامية مثلاً)، لكن وإن كان الدين يعد أحد أهم مقومات الحضارة إلى جانب عناصر أخرى (القيم المشتركة، وسبل التفكير...)، فالملاحظ هو نسبية مقولة هانتنغتون التي تزعم أن لكل حضارة دينها الخاص بها، فليس بالضرورة أن يكون لكل حضارة محددة دين معين.

وبالرجوع إلى موقع الإسلام ضمن تصور هانتنغتون لصدام الحضارات، أكد العديد من الباحثين العرب والمسلمين على الطبيعة التواصلية والحوارية للإسلام وحضارته من جهة، وأكد بعضهم على الصفة «العدوانية» التي طبعت الحضارة الغربية سواء في مرحلتها المسيحية أو العلمانية من جهة أخرى.

ويلاحظ أن هانتنغتون تعامل مع الإسلام كتجارب وممارسات بشرية استثنائية أكثر من تعامله مع الإسلام كدين، «فإذا كان الإسلام واحداً في روحه وجوهره ومثله وأركانه، فإنه متعدد في فهم المسلمين له وتفسيرهم لقرآنه وتعبيرهم عن مثله وتطبيقهم لأركانه»[1]، وتناسى أن «التطرف» هو ظاهرة ميزت وتميز الأديان والحضارات البشرية كافة.

وقد تناسى هذا الباحث أن الإسلام ظهر في فترة شهد فيها العالم حالة خطيرة من

---

(١) عصام نعمان، «أمريكا والمسلمون: مشكلة علاقة،» في: أحمد بيضون [وآخرون]، العرب والعالم بعد ١١ أيلول/سبتمبر، سلسلة كتب المستقبل العربي؛ ٢٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢)، ص ٢٩٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاضطراب والعداء ليقر بالتواصل والتعارف، وفي هذا الموضوع يقول عز وجل : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[٢].

وهذه الآية تبرز لنا أن أصل الإنسانية واحد، وأن الله جعل الناس شعوباً وقبائل بقصد التعارف الذي يعتبر الأساس في ربط الأفراد بعضهم ببعض سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وقد جاءت الآية شمولية في خطابها، بحيث لم تقتصر على المسلمين، بل وجهت إلى الناس كافة[٣]، كما أن الإسلام نهى عن الإكراه في الدين، وأقر بمبدأ الحرية في الإيمان، وحث على مبدأ المساواة.

ويبدو مما سبق أن هذه النظرية، وخاصة في تهويلها ومبالغتها في تصوير الحضارة الإسلامية كحضارة خطيرة وعدوانية، تنم عن خلفيات سياسية أكثر منها معرفية أكاديمية وعلمية، وتحمل في طياتها خلفيات عدائية للثقافات والحضارات الأخرى، ذلك أنها تنحو إلى التعبئة والتصعيد وشحن العداء إزاء مختلف الحضارات الكبرى في العالم.

ولعل هذا ما يدفعنا إلى القول بأن هذه النظرية، هي كتلك التي جاء بها فوكوياما حول «نهاية التاريخ»، تندرج ضمن سياق توفير المرجعية الفكرية وإعداد المناخ العام للولايات المتحدة بخاصة، والغرب بشكل عام، واللازم لتعزيز الهيمنة على العالم وإطالة أمدها، وذلك من خلال تحديد أعداء جدد، والتهويل من مخاطر وتحديات جديدة، خاصة بعد الفراغ الاستراتيجي الذي خلفه رحيل الاتحاد السوفياتي عن الساحة الدولية.

ثانياً: الصورة النمطية للإسلام في الغرب وبعض تداعياتها

منذ فترة الفتوحات الإسلامية الأولى والعلاقات بين الإسلام والغرب يشوبها نوع من الالتباس والغموض والفهم الخاطئ، حيث ظل الإسلام في الغرب ذلك الآخر البربري الغازي والحاقد والمحارب.

وقد ارتبط سوء فهم الغرب للإسلام من خلال عدم التمييز بين ما هو من صلب الدين وما هو ناتج من الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية (التجارب والممارسة البشرية). ويتمظهر هذا الفهم الضيق والمنحرف للإسلام من خلال وضع الإسلام ضمن إطار ما يعرف بـ «الاستبداد الشرقي»، وتعميم التشدد والقسوة والتعصب والإرهاب

---

(٢) القرآن الكريم، «سورة الحجرات،» الآية ١٣.

(٣) عمر أحمد الفرجاني، أصول العلاقات الدولية في الإسلام (طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٤)، ص ٣٦-٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واللاعقلانية والتخلف ونبذ الديمقراطية وحكم القانون المدني والمساواة بين الرجل والمرأة على الثقافة الإسلامية برمتها.

وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي في بداية التسعينيات من القرن الماضي برز تيار فكري في الغرب يجعل من الإسلام عدواً للغرب بديلاً من الشيوعية، وفي السياق نفسه تم تداول عدة مصطلحات تم ربطها بالإسلام من قبيل «التعصب الإسلامي»، و«التطرف الإسلامي»، و«الإرهاب الإسلامي»، و«الخطر الإسلامي»، و«الخطر الأخضر»... وقد أسهمت في ترويج هذه المصطلحات الدعاية الإعلامية المعادية والدراسات الاستشراقية، هذا زيادة على الدعاية الصهيونية السوداء التي نجحت برسم صورة مشوهة وقاتمة عن الإسلام والمسلمين والعرب في الغرب من خلال تزوير الحقائق التاريخية، في ظل فراغ أفرزه عدم الوجود الإعلامي والثقافي العربي والإسلامي الفاعل هناك.

ويبدو أن بعض الأطراف في الغرب تخشى بشكل جدي «الخطر الإسلامي» بالنظر إلى مرونة الإسلام وعالمية هذا الأخير الذي جاء للعالمين على خلاف المسيحية واليهودية(٤) وعلى رغم كون معظم أنظمة البلدان الإسلامية تربطها علاقات ودية مع الغرب، وعلى رغم المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها معظم هذه البلدان، فهناك داخل الغرب من يبالغ في إثارة خوفه وقلقه من «الخطر الإسلامي»، عبر استنتاجات خاطئة تضفي طابع التطرف والتشدد ومعاداة الغرب على كل مسلم أينما كان، بناء على سلوكات استثنائية يقدم عليها بعض الأشخاص والجماعات، وهو الأمر الذي يدفع بالغرب إلى ممارسة مختلف الضغوطات على معظم هذه البلدان بهدف صد أية تحولات «مريبة» تحصل في داخلها، أو تحجيم أي دور استراتيجي لها، والحؤول دون امتلاك هذه الدول «الدكتاتورية» أسلحة نووية مخافة سقوطها في أيدي «الإرهابيين»، وهو ما تبين في القصف الإسرائيلي للمفاعل النووي العراقي «تموز» في بداية الثمانينيات، وممارسة ضغوطات كبيرة على باكستان لفرض رقابة مستمرة على قدراتها في هذا الشأن. ومنذ نهاية حرب الخليج الثانية احتكرت إسرائيل امتلاك القدرات النووية في منطقة الشرق الأوسط، في حين لم يعد للعرب أي خيارات في هذا الشأن نتيجة للحظر «الدولي» المفروض على نقل التكنولوجيا النووية إلى الأقطار العربية، وهو ما يعطي انطباعاً أولياً بأن علاقة الغرب بالإسلام علاقة أمنية يشوبها الحذر.

وفي هذا الشأن، يذكر أحد المفكرين الغربيين أن «الخطر الإسلامي» هو ذاته خرافة، والحديث عن نزاع مستمر عبر تاريخي بين العالم «الإسلامي» والعالم «الغربي» هو هراء. فمن الجانب «الإسلامي» من الحماقة أن نرى البلدان الإسلامية وكأنها بمعنى ما تهدد الغرب، فقد اختفى منذ أمد طويل الخطر العسكري الذي تثيره قوات إسلامية موحدة

---

(٤) لمزيد من التفاصيل بهذا الصدد، انظر: جعفر شيخ ادريس، «العولمة وصراع الحضارات،» مجلة البيان (المنتدى الإسلامي)، السنة ١٦، العدد ١٧٠ (كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٢)، ص ٣١-٣٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(في ظل الإمبراطورية العثمانية)، فالقوات الإمبراطورية التي أبعدت عن بوابات فيينا وبودابست في القرن السابع عشر تبخرت مع الامبراطورية العثمانية في عام ١٩١٨.

ولقد شكلت أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ منعطفاً تاريخياً أصبح ينذر بإمكانية قيام مواجهة وصدام حقيقيين بينهما بناء على خلفيات سياسية وعسكرية بغلاف ثقافي وحضاري، وخاصة من جانب الغرب. فقد أعادت هذه الأحداث علاقة الغرب بالإسلام إلى الواجهة من جديد، وأنعشت نظرية هانتنغتون المرتبطة بصدام الحضارات، وأحبطت إلى حد ما كل المحاولات والجهود التي توخت التسامح والتعايش والحوار بين مختلف الحضارات البشرية. ففي ظل هذه الأحداث أصبح مألوفاً وعادياً إصدار حكم متعجل بالإدانة على جميع العرب والمسلمين، وأصبحت الجاليات العربية والإسلامية في الغرب موضع شك وغموض، وتخص بإجراءات أمنية مستفزة وجائرة.

وفي الحقيقة أن أصحاب القرار في الغرب عامة، والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة، يصرون على التمييز بين الإسلام كدين، والإرهاب كسلوك، ويجهرون باحترامهم للإسلام كدين ويؤكدون أن حربهم ليست حرباً ضد الإسلام ـ وهو ما تفرضه المجاملات الدبلوماسية الرسمية ـ وأن العرب والمسلمين أضحوا رقماً ملحوظاً في المعادلة الديمغرافية والسياسية الغربية (وجود حوالى ٧ ملايين عربي ومسلم في الولايات المتحدة الأمريكية وأكثر من ١٠ ملايين منهم في أوروبا الغربية)، وهو ما يجعل الإسلام في الغرب ـ كما يرى بعض الأكاديميين والساسة الغربيين ـ لم يعد ذلك الآخر لأنه موجود داخل الجسم الغربي ويعيش بين أفراده.

لكن المشكلة هي أن الغرب يشهد بروز اتجاهات داخل الحقل السياسي والفكري تحمل قدراً كبيراً من العداء العلني للإسلام قد تجد لها طريقاً نحو أصحاب القرار السياسي لتبنيها سياسياً وبشكل علني.

إن الغرب الذي يمتلك كل مقومات القوة الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية يحاول قدر الإمكان تحجيم قوة الدول الإسلامية ويرفض أية دعوة للمسلمين لتبني هوية متميزة، معتبراً ذلك نوعاً من الخروج عن قيم الحوار والتسامح وتحريضاً على العنف، مع ممارسة ضغوطات كبيرة على أنظمة البلدان الإسلامية والعربية باتجاه إقصاء «الحركات الإسلامية» التي يرى أنها تحمل برامج راديكالية وعدائية نحو الغرب، بل إن اعتدال هذه الحركات في خطاباتها تجاه الغرب لم يشفع لها أمامه (حزب الرفاه الإسلامي في تركيا مثلاً...)، في حين نجد الحركات اليمينية المتطرفة الغربية، التي تحمل برامج وأفكاراً هدامة وعنصرية علنية تجاه الحضارات الأخرى، تعمل بكل حرية في إطار الدساتير الغربية ويتنامى بريقها داخل المشهد السياسي الغربي بشكل مثير. والعولمة التي يتحكم في دواليبها الغرب القوي والمتفوق هي بصدد نشر ثقافة أحادية تسهم في تغريب الشعوب غير الغربية واستفزازها من خلال الترويج لمفاهيم غربية وتكريسها دولياً كمفهوم الديمقراطية الذي يربطه الغرب بالمؤسسات بدل الفعالية، وكذا مفهوم الإرهاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي يسعى لتكريس تجريم أي عمل عنيف ولو كان في إطار المقاومة، مع التركيز على إرهاب الأفراد وغض النظر عن إرهاب الدولة(٥).

كما أن القانون الدولي كضابط مفترض للعلاقات الدولية يعكس في الواقع مصالح الغرب ورؤيته، سواء بالنظر إلى أصوله ومصادره أو عند إعماله وتطبيقه. فمصادر هذا القانون في ارتباطها بالجانب الشكلي، ووفقاً لما اعتمدته المادة ٣٨ من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، تتحدد في:

١ ـ الاتفاقات الدولية العامة والخاصة التي تضع قواعد معترفاً بها صراحة من جانب الدول المتنازعة.

٢ ـ العادات الدولية المرعية المعتبرة بمثابة قانون دل عليه تواتر الاستعمال.

٣ ـ مبادئ القانون العامة التي أقرتها الأمم **المتمدنة**.

٤ ـ أحكام المحاكم ومذاهب كبار المؤلفين في القانون العام في مختلف الأمم.

ومعلوم أن هذه المصادر، وحسب تصنيفها الوارد في المادة السابق ذكرها، تعكس في الواقع موازين القوى الغربية المهيمنة إبان النصف الأول من القرن الماضي، ذلك أن معظم دول العالم لم تساهم في بلورتها بحكم خضوعها للهيمنة الاستعمارية في تلك الفترة.

فالاتفاقيات الدولية، وإن كانت تنطوي على أهمية كبرى باعتبارها أداة لربط العلاقات بين الدول وتشجيع التعاون الدولي، فهي تأتي في غالبيتها غير متكافئة وتعكس مصالح الأطراف القوية (اتفاقيات السلام العربي ـ الإسرائيلي، واتفاقيات الصيد البحري السابقة بين المغرب وإسبانيا...). والمتتبع لما يجري في الساحة الدولية من أحداث منذ رحيل الاتحاد السوفياتي يلمس بوضوح حجم التدخلات الزجرية بشتى أشكالها، والتي استهدفت الدول الإسلامية والعربية في كل من العراق، والسودان، وليبيا، وأفغانستان، والصومال، وفلسطين... باسم هذا القانون.

وعموماً، يوجد في الغرب عدة خطابات حضارية: فهناك من جهة خطاب غير رسمي تتزعمه بعض القنوات الإعلامية وبعض الباحثين والأكاديميين وبعض السياسيين موجه نحو الرأي العام الغربي يتوخى رسم صورة مشوهة للإسلام والمسلمين، وخطاب آخر يتبنى الحوار مع الإسلام ويميز فيه أصحابه بين الإسلام كدين سماوي والإسلام كممارسة وتجربة بشرية تحتمل النقاش، وخطاب آخر رسمي بوجهين: **الأول علني** يتوخى التسامح والتعايش مع الإسلام واحترام الحضارات الأخرى، **والثاني خفي**

---

(٥) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر: إدريس لكريني، «مكافحة «الإرهاب الدولي» بين تحديات المخاطر الجماعية وواقع المقاربات الانفرادية،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٥، العدد ٢٨١ (تموز/يوليو ٢٠٠٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وواقعي يتوخى محاصرة الإسلام والتضييق على المسلمين إلى مستوى ممارسة مختلف الضغوطات على بعض الدول الإسلامية، كالسعودية، واليمن، وأفغانستان... لتعديل سياساتها التعليمية والتربوية بذريعة تفريخها للإرهاب من خلال تكريس ثقافة الجهاد.

ومن خلال ما سبق، يمكن القول إن صراع الغرب مع الإسلام هو واقع وجار في الميدان على مختلف الواجهات من خلال السياسات التعسفية التي تستهدف محاصرة الإسلام والتضييق على المسلمين في كل مكان، وهي السياسات التي تغطيها التصريحات الرسمية المزيفة الداعية إلى الحوار والتعايش، وهي سياسات تنطوي على خلفيات اقتصادية وسياسية وعسكرية.

فالنزوع نحو التفوق والهيمنة الحضارية للغرب، والتخويف من البديل الحضاري والسياسي المرتقب للعالم الإسلامي، دفع بعدد كبير من النخبة السياسية المحافظة إلى تبني منطق الصدام الحضاري، ويظهر أن بروز نظريات من قبيل «نهاية التاريخ» و«صدام الحضارات» في الغرب ما هي إلا مرجعيات واهية لتبرير هيمنته وتأكيد تفوقه.

ثالثاً : نحو تصحيح صورة الإسلام في الغرب

إن موقف الغرب من الإسلام هو سلوك طبيعي بالنظر الى الصورة النمطية المفزعة التي قدمت وتقدم له حول الإسلام والمسلمين بشكل خاطئ ومنحرف ومنكر للحقائق.

وأمام واقع هذه الصورة النمطية للإسلام والمسلمين التي أصبحت مترسخة في أذهان معظم الغربيين، أضحى العمل نحو تصحيحها عملاً ملحاً وضرورياً، ويحتاج إلى مجهودات دؤوبة وجبارة.

وتصحيح هذه المعطيات المغلوطة التي تعطي انطباعات سيئة عن كل ما هو عربي وإسلامي، والتي زادت مع ظروف أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، لا تتوقف فقط على الشكوى من عدم فهم الغرب للإسلام وللمسلمين، بل تتطلب ردود فعل مناسبة وفعالة تتوخى تغيير هذه الصورة التي رسمها تراث من الفكر الاستشراقي منذ زمن بعيد، والدعاية الصهيونية، في ظل غياب عربي وإسلامي شبه تام عن الساحة الإعلامية والثقافية الغربية، عبر تقديم صورة حقيقية عن الثقافة الإسلامية والعربية، وذلك بتوظيف كل الإمكانيات المادية والمعنوية في هذا الشأن.

وللإشارة، فإن إسرائيل أعلنت في أواخر شهر آب/أغسطس ٢٠٠١ عن تخصيص مبلغ مائة مليون دولار لتحسين وتلميع صورتها في أوساط المجتمع الأمريكي بعد أن شعرت بأن تلك الصورة أخذت في الاهتزاز منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية في شهر أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠. وفي السياق نفسه قررت الولايات المتحدة الأمريكية تخصيص مبلغ ٢٠ مليون دولار لتحسين صورتها في العالم عقب أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويمكن إجمال أهم الإجراءات الكفيلة بتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الغرب في ما يلي:

١ ـ التعريف بقيم التسامح للحضارة الإسلامية، والتي تتمحور حول الحوار والتواصل لا الحروب والمواجهات، من خلال السبل المتاحة من منابر إعلامية مكتوبة ومرئية ومسموعة، وإصدار الكتب ـ حول الموضوع ـ المترجمة للغة الغرب، والترويج للكتب الغربية المنصفة للإسلام، وإجراء إعفاءات جمركية للمنتجات الثقافية والفكرية العربية التي تخدم هذه الأهداف عند تصديرها إلى الخارج، واستغلال شبكة المعلومات السيارة (الإنترنت).

٢ ـ مراجعة الخطابات السياسية والثقافية العربية والإسلامية المنغلقة والمتشددة التي تولد سوء الظن بين أبناء الحضارات المختلفة، وتوخي خطاب مرن في مواجهة الغرب والتعلم من إنجازاته وثقافته، أسوة بما أنجزته بعض الدول: كوريا الجنوبية، وسنغافورة، واليابان، وماليزيا، والصين، وتايوان، وإندونيسيا... بدل تبني خطابات الانعزال خوفاً من الغزو الثقافي للآخر، وخاصة أن الإسلام ذاته يأمر بالتعارف والتواصل المستمر مع الشعوب كافة.

٣ ـ الاعتراف بأن تشجيع خطاب «التطرف» من قبل بعضهم هو أمر ضار بالمسلمين قبل أن يكون ضاراً بالغير.

٤ ـ ضرورة تحسين وإصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الدول الإسلامية التي غالباً ما تكون المسؤول الأول والرئيسي عن ظهور الخطابات «المتشددة» و«المتطرفة»، وعن تبني أفكار «المتطرفين».

٥ ـ ضرورة الإيمان بمبدأ المساواة بين الحضارات الإنسانية كافة.

٦ ـ العمل على إبراز نقط الالتقاء مع الثقافات الأخرى عوض التركيز على محاور الخلاف، وفتح حوار في هذا الشأن مع النخبة المثقفة في الغرب.

٧ ـ توحيد الخطاب الحضاري الإسلامي تجاه الغرب، بدل تعدد وتباين الخطابات التي تدعي إحاطتها بالثقافة الإسلامية، والتي تخلق حالة من الالتباس في أذهان الغربيين، ففي هذا الشأن تمكنت الدول الأوروبية ـ في إطار الاتحاد الأوروبي ـ من بلورة سياسة ثقافية أوروبية موحدة على رغم الاختلافات العرقية والثقافية في ما بين هذه الدول، في حين لم تستطع الدول الإسلامية والعربية بعد تنسيق برامجها وسياساتها الثقافية والتربوية والإعلامية بالشكل الذي يسمح لها برفع خطاب حضاري وثقافي موحد في مواجهة الغرب.

٨ ـ يجب على الجاليات العربية والمسلمة الموجودة في الغرب أن تنظم نفسها بالشكل الذي يجعل منها قوة مؤثرة في الساحة الغربية قادرة على فرض احترام الغرب للحضارة الإسلامية من خلال تقديمها لسلوك حضاري راق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩ ـ إقناع الغرب كافة بأن مصالحهم الحقيقية هي في إقامة علاقات ودية مع العرب والمسلمين وليس في معاداتهم.

١٠ ـ عدم إسقاط السياسات الأمريكية التعسفية تجاه الأقطار العربية والإسلامية على الغرب برمته، وإظهار أن انتقادنا للغرب ينصب على بعض سياساته لا على ثقافته.

١١ ـ تشجيع الغرب على الدخول في شراكة حقيقية مع العرب والمسلمين يتم بموجبها تقديم الدعم الاقتصادي والتقني للدول العربية والإسلامية في إطار من التعاون واحترام مبدأ السيادة.

١٢- إن فتح الحوار مع الآخر يتطلب إجراء حوار وتواصل مع الذات من خلال الإيمان بحق الاختلاف واحترام الرأي الآخر.

إن الأصل في عمق وطبيعة الحضارات هو التحاور والتشابك والتواصل، ولذلك فإن الصراع، حتى وإن اتخذ مظهراً ثقافياً، غالباً ما تكون وراءه دوافع سياسية واقتصادية أكثر منها ثقافية، وهي الخلفيات التي طالما عكّرت الحوار بين الحضارات. ولعل الأحادية الثقافية التي تروّج لها بعض الجهات داخل المجتمع الغربي وتلقى تجاوباً في الأوساط الشعبية والرسمية لن تصمد أمام التاريخ، والحضارات، وإن كان يختلف بعضها عن بعض. فهي لا تحتمل أبداً إجراء تقييم تفضيلي بينها، ومن ثم فالصراع القائم هو في العمق صراع سياسي واقتصادي.

لقد شهد المجتمع الدولي تداخلاً وتعدداً في العلاقات بين مختلف الشعوب والأمم في شتى المجالات والميادين يؤكدها التنقل المستمر للقيم والأفكار والأشخاص بالشكل الذي يجعلنا نستبعد كلياً نظريات المواجهة أو القطيعة لحساب التواصل، لكن التصريحات والسلوكات المستفزة الاستثنائية التي تصدر عن بعض الجهات التي تعتقد أنها تمثل الغرب برمته أو تلك التي تعتقد أنها تمثل الإسلام والمسلمين، يمكن أن تشوّش على هذا التواصل والحوار الضروريين والحتميين □

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner